

وصايا لقمان لابنه

جمع

أ. هيفاء بنت عبدالله الرشيد

بسم الله الرحمن الرحيم

وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ
اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ
الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ
وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى
أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ
سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن
تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا
اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ
وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا
تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَاقْصِدْ فِي
مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فخير القصص، وخير المواعظ، وخير الحِكَم، تلكم القصص والمواعظ والحكم الواردة في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، إذ الله سبحانه وتعالى قد خلق الخلق وهو سبحانه أعلم بهم وأعلم بما ينفعهم، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [سورة الملك:١٤].

ولما كانت المواعظ ترقق القلوب وتردها إلى الحق ردًّا جميلاً، وتبصر الخلق بما ينفعهم؛ أمر الله نبيه ﷺ بها فقال: ﴿وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [سورة النساء:٦٣].

وامتثل النبي ﷺ أمرَ ربه، ومن هذا ما ذكره العرباض بن سارية رضي الله عنه: "وعَظَنَا رسولُ اللهِ ﷺ مَوْعِظَةً وجِلَتْ منها القلوبُ، وذَرَفَتْ منها العيونُ"[(١)].

ومن المواعظ والحكم التي ذكرها الله تعالى في كتابه: **(وصايا لقمان لابنه)**، ذكرها سبحانه وتعالى لنتأملها ونتدبرها ونعمل بمقتضاها.

---

(١)- رواه أحمد في مسنده (٣٦٧/٢٨) (ح/١٧١٤٢)، والترمذي في سننه، أبواب العلم، باب: ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، (ح/٢٦٧٦)، وغيرهما، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦١٠/٢) (ح/٩٣٧).

ولو تأملنا هذه الوصية الجامعة الشاملة لوجدناها جمعت خيراً كثيراً، فقد أوصى لقمان الحكيم ابنه بوصايا جمعت بين أصول العقيدة، والشريعة، والأخلاق، ومراقبة الله في السر والعلن، وإقامة الصلاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصبر على ما نزل به من مصائب، والاتِّصاف بلِين الجانب، والابتعاد عن التكبُّر، والتحدُّث إلى الناس بلُطف، مع خفض الصوت، والابتعاد عن الغلظة في الكلام.

وقد قمت بتقسيم المحاضرة إلى فصلين:

أما الفصل الأول: ففيه التعريف بلقمان الحكيم، ويندرج تحته عدة مطالب.

والفصل الثاني: ففيه الوصايا التي أوصى بها لقمانُ ابنه، وقد جعلت كل وصية في مطلب.

والآن: فلنتمعن في هذه الوصية العظيمة، التي خلَّدها الله في كتابه العظيم؛ لتكون لنا وللعالمين منارة هدى، ومَعْلَمَ توجيه، سائلين الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بها، وأن يرزقنا فهمها والعمل بها.

الفصل الأول: ﴿ التعريف بلقمان الحكيم ﴾

المطلب الأول: ﴿ اسمه ونسبه ﴾

هو لقمان بن باعوراء ابن نَاحُورَ بن تَارِحٍ، وهو آزَرُ أبو إبراهيم، وقيل: هو لقمان ابن عَنْقَاءَ بن سَرُّونَ.[(١)]

المطلب الثاني: ﴿ أوصافه ﴾

كَانَ لقمانُ أسودَ مِنْ سودانِ مِصرَ ذا مَشَافِرَ، أي: عظيمَ الشَّفتينِ، مُشَقَّقَ الرِّجلَينِ، قصيراً أفطس. وقيل: كانَ حبشياً.[(٢)]

المطلب الثالث: ﴿ صفاته ﴾

كان لقمان صالحاً حكيماً وفطيناً، يغضُّ بصرَه، ويكفُّ لسانَه، عفيفَ النفسِ، يَفِي بعهدِه، ويكرمُ ضيفَه، ويتركُ ما لا يعنيه، وكان رقيقَ القلب، صادقَ الحديث، صاحبَ أمانةٍ وعِفَّةٍ، وكان رجلاً سكِّيتاً، طويلَ التفكر، لا يعبثُ ولا يضحك.[(٣)]

المطلب الرابع: ﴿ مهنته ﴾

اخْتُلِفَ في صنعته، فقيل: كان خَيَّاطاً، قالهُ سعيدُ بنُ المسيّب. وقيل: كان يَحْتَطِبُ كُلَّ يوم لمولاه حُزْمَةَ حطبٍ. وقيل: كان راعياً. وقيل: كان نَجَّاراً.[(٤)]

---

(١)– انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥٩/١٤).

(٢)– انظر: الجامع لأحكام القرآن لابن العربي (٥٢٧/٣–٥٢٨)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥٩/١٤)، تفسير ابن كثير (٣٣٣/٦).

(٣)– انظر: تفسير ابن كثير (٣٣٥/٦).

(٤)– انظر: الجامع لأحكام القرآن لابن العربي (٥٢٨/٣)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦٠/١٤–٦١)، تفسير ابن كثير (٣٣٣/٦).

المطلب الخامس: ﴿ هل كان لقمان نبياً أم حكيماً ؟ ﴾

اختلفَ السَّلَفُ في لقمانَ: هل كان نبيَّاً، أو عبدًا صالحاً مِنْ غيرِ نُبُوَّةٍ؟ على قولين:

جمهورُ أهلِ التَّأويلِ أنَّهُ كان وَليّاً ولم يكن نبيَّاً. وقال بِنُبُوَّتِهِ عِكرِمَةُ والشَّعْبِيُّ.

والصَّوَابُ أنَّهُ كان رجلاً حكيماً قاضِياً في بني إسرائيلَ.

وعن مجاهدٍ: كان لُقمانُ عبداً صالحاً ولم يكن نبيَّاً.

عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ ﴾، يَعْنِي: الْفِقْهَ وَالْعَقْلَ وَالْإِصَابَةَ فِي الْقَوْلِ فِي غَيْرِ نُبُوَّةٍ[(١)].

قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله: "فَهَذِهِ الْآثَارُ مِنْهَا مَا هُوَ مُصرَّح فِيهِ بِنَفْيِ كَوْنِهِ نَبِيًّا، وَمِنْهَا مَا هُوَ مُشْعِرٌ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّ كَوْنَهُ عَبْدًا قَدْ مَسَّه الرِّقُّ يُنَافِي كَوْنَهُ نَبِيًّا؛ لِأَنَّ الرُّسُلَ كَانَتْ تُبْعَثُ فِي أَحْسَابِ قَوْمِهَا؛ وَلِهَذَا كَانَ جُمْهُورُ السَّلَفِ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا، وَإِنَّمَا يُنْقَلُ كَوْنُهُ نَبِيًّا عَنْ عِكْرِمَةَ -إِنْ صَحَّ السَّنَدُ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ حَدِيثِ وَكِيع عَنْ إِسْرَائِيلَ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ فَقَالَ: كَانَ لُقْمَانُ نَبِيًّا. وَجَابِرٌ هَذَا هُوَ ابْنُ يَزِيدَ الْجُعْفِيُّ، وَهُوَ ضَعِيفٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ"[(٢)].

فالمشهورُ عن الجمهورِ أنه كان رجلاً حكيماً ولم يكن نبيَّاً، وهذا هو الحق إن شاء الله تعالى، والله أعلم.[(٣)]

---

(١)- تفسير مجاهد (ص٥٤١).

(٢)- تفسير ابن كثير (٦/٣٣٤).

(٣)- انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٤/٥٩)، تفسير ابن كثير (٦/٣٣٣-٣٣٤).

الفصل الثاني: ﴿ وصايا لقمان لابنه ﴾

المطلب الأول: الوصية الأولى: التحذير من الشرك

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان:١٣].

هذه أولى وأهم الوصايا في موعظة لقمان لابنه، نبهه فيها على أساس الأمر ودعامته، أوصاه بالتوحيد والحذر من الشرك، وهذا ما لا يخطر على بال بعض الآباء لغفلتهم، بل إن بعضهم يعلل ذلك بأننا موحدون مسلمون، فما الداعي لذلك؟!

لقمان وابنه كانا مؤمنين، ومع هذا لم يُهمل لقمانُ هذا الأساسَ العظيم الذي دعا إليه كل الأنبياء قبل الدخول مع أقوامهم في تفاصيل العبادات، بل من قبله إبراهيم عليه السلام كان يخشى على نفسه وعلى أبنائه من هذا المزلق وهو نبي، قال تعالى على لسان نبيه إبراهيم: ﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم: ٣٥] ، فما عسانا نقول عن حالنا نحن؟!

﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ ﴾: وهذا شأن أهل الفضل مع أبنائهم؛ يقدمون لهم المواعظ، ويخوفونهم بالله، ويحذرونهم عقابه، ويرشدونهم إلى ما يقربهم من ربهم ولقائه.

إنما خص لقمان ابنه من بين سائر الناس لاعتبار الأهم فالأهم(١)، قال تعالى: ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء:٢١٤]، وإنما نهاه عن الشرك؛ لأنه الخطر الأعظم على عبادته، ولأنه ظلمٌ في حق الخالق سبحانه وتعالى، لذلك علل له فقال: ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾.

وإن من الواجبات المحتمات على العبد أن يعرف معنى الشرك وخطره وأقسامه؛ وذلك حتى يسلم توحيده، ويصح إيمانه.

---

(١)- انظر: دَرْجُ الدُّرر في تفسير الآي والسور للجرجاني (٣/١٣٨٤).

١- معنى الشرك لغةً واصطلاحاً:

الشرك لغةً: كالشريك، والشركة مخالطة الشريكين، يقال اشتركا بمعنى تشاركا، وأشرك بالله: أي جعل له شريكاً في ملكه -تعالى الله عن ذلك-.[١]

الشرك اصطلاحاً: قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-: "هُوَ صَرْفُ نَوْعٍ مِنَ العِبَادَةِ إلى غَيْرِ الله، أَو: هُوَ أَنْ يَدْعُوَ مَعَ اللهِ غَيْرَهُ، أَوْ يَقْصِدَهُ بِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ العِبَادَةِ التي أَمَرَ اللهُ بِهَا"[٢].

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي -رحمه الله-: "هُوَ أَنْ يَجْعَلَ لله نِدّاً يَدْعُوهُ كَمَا يَدْعو اللهَ، أو يَخَافُه، أو يَرْجُوه، أو يُحِبُه كَحُبِّ الله، أو يَصْرِفَ لَهُ نَوعَاً مَنْ أَنواعِ العِبَادَة"[٣].

٢- خطر الشرك:

لقد وصَف لقمانُ الشِّركَ بالله بأنه ظُلم عَظيم، لأن الظلم وضع الشيء في غير موضعه، فالمشرك وضع العبادة في غير موضعها، وصرفها لغير مستحقها، وسوّى بين الخالق المالك المدبر وبين المخلوق الضعيف، لذلك أنكر الله على أهل الشرك قائلا: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ **[النحل: ١٧]** فهذا أعظم الظلم والطغيان.

لذا كان الشرْك بالله تعالى مِن أعظم الكبائِر على الإطلاق، ومن أكبر الذنوب وأقبحها، وكفى أنَّه الذَّنْب الذي لا يَغفِره الله، إلاَّ لمن تاب وأناب قبلَ أن يموت، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ **[النساء: ٤٨]**، ولم يتوعد الله جل وعلا على ذنب مثلما توعد على الشرك من الوعيد الشديد، حتى كان سبباً للحرمان من الجنة والخلود في النار، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ **[المائدة: ٧٢]**.

---

(١)- انظر: النهاية لابن الأثير (٢/٤٦٦)، لسان العرب لابن منظور (٤/٢٢٤٨).

(٢)- مجموع مؤلفات شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، قسم العقيدة (ص٢٨١).

(٣)- القول السديد في مقاصد التوحيد (ص٢٤).

وقد خاطب الله صفوة خلقه وهم الرسل بقوله: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:٨٨]، بل وخاطب إمام الموحدين وسيد المرسلين محمداً ﷺ بقوله: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥ - ٦٦].

وقد حذر النبي ﷺ من الشرك تحذيراً شديداً، فعن أبي بكرة نفيع بن الحارث رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «ألا أُخبِرُكُمْ بأكْبَرِ الكَبائِرِ؟» قالوا: بَلَى يا رَسولَ اللَّهِ، قالَ: «الإشْراكُ باللَّهِ، وعُقُوقُ الوالِدَيْنِ» [(١)].

وعن عَبْدِاللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ». [(٢)]، والنِّدُّ: المثيلُ والنَّظيرُ.

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الكَبَائِرِ، قَالَ: «الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ». [(٣)]

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ» وَقُلْتُ أَنَا: «مَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ». [(٤)]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الموبِقَاتِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المحْصَنَاتِ المؤْمِنَاتِ الغَافِلاَتِ». [(٥)]

وعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْمُوجِبَتَانِ؟ فَقَالَ: «مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ». [(٦)]

---

(١)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الاستئذان، باب: من اتَّكأ بين يدي أصحابه، (ح/٦٢٧٣).

(٢)- رواه أحمد في مسنده (٦/١٩٦)، وصححه الشيخ أحمد شاكر.

(٣)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الأدب، باب: عقوق الوالدين من الكبائر، (ح/٥٩٧٧)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: بيان الكبائر وأكبرها، (ح/٨٨).

(٤)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الجنائز، باب: ما جاء في الجنائز، ومن كان آخر كلامه: لا إله إلا الله ، (ح/١٢٣٨).

(٥)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الوصايا، باب: باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا، إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾، (ح/٢٧٦٦)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: بيان الكبائر وأكبرها، (ح/٨٩).

(٦)- رواه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات مشركاً دخل النار، (ح/٩٣).

والشرك لا يقبل الله فيه شفاعة ولو كانت من النبي ﷺ، فعَنْ سَعِيدِ بْنِ المسَيِّبِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الوَفَاةُ دَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَعِنْدَهُ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَيْ عَمِّ، قُلْ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ»، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ المطَّلِبِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ»، فَنَزَلَتْ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى، مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣].(١)

٣- أقسام الشرك:

الشرك نوعان: شرك أكبر، وشرك أصغر.

النوع الأول: الشرك الأكبر: وهو صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله سبحانه وتعالى، وذلك كمن ذبح لغير الله، أو نذر لغير الله، أو سجد لغير الله، أو ركع لغير الله، أو دعا غير الله، أو استغاث بالأموات، أو غير ذلك، فهذه العبادات كلها لله، ولا تصرف إلا له سبحانه وتعالى، ومن صرفها لغيره فقد أشرك شركاً أكبر.

وهذا النوع من الشرك يخرج صاحبه من الملة، ويحرم عليه دخول الجنة، ويخلده في النار، ويحبط جميع عمله، ويبيح دمه وماله.(٢)

النوع الثاني: الشرك الأصغر: كل عمل قولي أو فعلي أطلق عليه الشارع وصف الشرك لكنه لا ينافي التوحيد منافاة مطلقة.(٣)

وهو نوعان:

النوع الأول: شرك في الألفاظ: كمن يحلف بغير الله، ومثل قول: لولا الله وأنت، ما شاء الله وشئت.

النوع الثاني: شرك خفي: وهو الشرك في الإرادات والنيات، كالرياء والسمعة، كأن يعمل عملاً مما يتقرب به إلى الله؛ يريد به ثناء الناس عليه.

---

(١)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾، (ح/٤٦٧٥)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: أول الإيمان قول لا إله إلا الله، (ح/٢٤).

(٢)- انظر: دروس في شرح نواقض الإسلام للشيخ صالح الفوزان (ص٤٤).

(٣)- القول المفيد على كتاب التوحيد (١/٢٦٥).

وخطر هذا النوع من الشرك عظيم، ومن تأمل نصوص الشرع أدرك ذلك، ولذا كان أصحاب رسول الله ﷺ يخافونه، بل هو أخوف ما كان رسول الله ﷺ يخافه على أصحابه، فهذا النوع من الشرك يحبط العمل الذي يصاحبه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ».(1)

وعَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ الأَنصَارِيّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ» قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً».(2)

والشرك الأصغر خفي جداً، يدخل على الإنسان من حيث لا يشعر، وقد نبه على هذا رسول الله ﷺ في الحديث الذي يقول فيه: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟» قَالَ: قُلْنَا: بَلَى، فَقَالَ: «الشِّرْكُ الْخَفِيُّ، أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي، فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ، لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ».(3)

---

(١)- رواه مسلم في صحيحه، كتاب: الزهد والرقائق، باب: من أشرك في عمله غير الله، (ح/٢٩٨٥).

(٢)- رواه أحمد في مسنده (٣٩/٣٩) (ح/٢٣٦٣٠)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٢٠/١).

(٣)- رواه ابن ماجه في سننه، كتاب: الزهد، باب: الرياء والسمعة، (ح/٤٢٠٤)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

المطلب الثاني: الوصية الثانية: الوصية بالوالدين

قال تعالى: ﴿ (١٣) وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥) ﴾ **[لقمان: ١٤-١٥]**.

لما ذكر سبحانه وتعالى ما أوصى به ولده من شكر المنعم الأول الذي لم يشركه في إيجاده أحد، وذكر ما عليه الشرك من الفظاعة والشناعة والبشاعة، أتبعه سبحانه وصيته للولد بالوالد لكونه المنعم الثاني المتفرد سبحانه بكونه جعله سبب وجود الولد اعترافاً بالحق وإن صغر لأهله، وإيذاناً بأنه لا يشكر الله من لا يشكر الناس، وتفخيماً لحق الوالدين، لكونه قرن عقوقهما بالشرك، وإعلاماً بأن الوفاء شيء واحد متى نقص شيء منه تداعى سائره.[(١)]

أمر الله تعالى ببرّ الوالدين، جرياً على عادة القرآن، فإنه كثيراً ما يقرن الله تعالى في القرآن بين الأمر بعبادة الله واجتناب الشرك وبين الأمر ببرّ الوالدين، كما في قوله سبحانه: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ **[البقرة: ٨٣]**، وقوله تعالى: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ **[النساء: ٣٦]**، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ **[الأنعام: ١٥١]**. وقوله: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ **[الإسراء: ٢٣]**. وهذا ارتباط عظيم بين حق الله في التوحيد، وحق الوالدين في الإحسان.

وجاء في السنة النبوية الوصية بالوالدين كذلك، والنهي عن عقوقهما، بل جعله النبي ﷺ من أكبر الكبائر، فعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الكَبَائِرِ، قَالَ: «الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ».[(٢)]

وطاعة الوالدين والإحسان لهما سبب لدخول الجنة، وقد دعا رسول الله ﷺ على من أدرك أبويه ولم يكونا سبباً بدخوله الجنة، وكيف يكونا سبباً بدخوله الجنة؟ بالإحسان إليهما والرفق بهما والعناية بهما في

---

(١)- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (١٥/١٦٣).

(٢)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الأدب، باب: عقوق الوالدين من الكبائر، (ح/٥٩٧٧).

كبرهما، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ» قِيلَ: مَنْ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ، أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا، ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ».(١)

وبر الوالدين من أجل الأعمال وأحبها إلى الرحمن، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ العَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا»، قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «ثُمَّ بِرُّ الوَالِدَيْنِ» قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».(٢)

والقيام بشأن الوالدين، والاعتناء بهما كالجهاد في سبيل الله، فعن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو رضي الله عنه قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الجِهَادِ، فَقَالَ: «أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ».(٣)

قوله تعالى: ﴿وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ﴾: أَيْ حَمَلَتْهُ فِي بَطْنِهَا وَهِيَ تَزْدَادُ كُلَّ يَوْمٍ ضَعْفًا عَلَى ضَعْفٍ. وَقِيلَ: الْمَرْأَةُ ضَعِيفَةُ الْخِلْقَةِ ثُمَّ يُضْعِفُهَا الْحَمْلُ.(٤)

وَقَوْلُهُ: ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ أَيْ: تَرْبِيَتُهُ وَإِرْضَاعُهُ بَعْدَ وَضْعِهِ فِي عَامَيْنِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾: بالقيام بعبوديتي، وأداء حقوقي، وأن لا تستعين بنعمي على معصيتي، ﴿وَلِوَالِدَيْكَ﴾ بالإحسان إليهما بالقول اللين، والكلام اللطيف، والفعل الجميل، والتواضع لهما، وإكرامهما، وإجلالهما، والقيام بمئونتهما، واجتناب الإساءة إليهما من كل وجه، بالقول والفعل(٥). قال سفيان بن عيينة: "من صلى الصلوات الخمس فقد شكر لله ومن دعا لوالديه عقبها فقد شكر لهما"(٦).

قوله تعالى: ﴿إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾: وهذا تهديد وتخويف من عاقبة المخالفة والعقوق والعصيان، كما هو وعد بالجزاء الحسن على امتثال أمر الله وطاعته وبرّ الوالدين وصلتهما.

---

(١)- رواه مسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: رغم أنف من أدرك أبويه أو أحدهما عند الكبر، فلم يدخل الجنة، (ح/٢٥٥١).

(٢)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب: مواقيت الصلاة، باب: فضل الصلاة لوقتها، (ح/٥٢٧)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، (ح/٨٥).

(٣)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الجهاد والسير، باب: الجهاد بإذن الوالدين، (ح/٣٠٠٤)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: بر الوالدين وأنهما أحق به ، (ح/٢٥٤٩).

(٤)- انظر: تفسير القرطبي (١٤/٦٤)، تفسير ابن كثير (٦/٣٣٦).

(٥)- تفسير السعدي (صـ٦٤٨).

(٦)- فتح الباري لابن حجر (١٠/٢).

قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ﴾: فطاعة الوالدين تكون في غير معصية الله سبحانه وتعالى، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق سبحانه، فإذا ما دعاه للإشراك بالله، أو لترك فريضة واجبة عليه فلا يطعهما، ولم يقل: "وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فعقهما" بل قال: ﴿ فَلا تُطِعْهُمَا ﴾ أي: بالشرك، وأما برهما، فاستمر عليه.(١)

قوله: ﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾: هذه الآية دليل على صلة الأبوين الكافرين بما أمكن من المال إن كانا فقيرين، وإلانة القول والدعاء إلى الإسلام برفق.(٢)

قوله: ﴿ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾: وهم المؤمنون بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، المستسلمون لربهم، المنيبون إليه، واتباع سبيلهم، أن يسلك مسلكهم في الإنابة إلى الله، التي هي انجذاب دواعي القلب وإراداته إلى الله، ثم يتبعها سعي البدن، فيما يرضي الله، ويقرب منه.(٣)

---

(١)- تفسير السعدي (صـ٦٤٨).
(٢)- انظر: تفسير القرطبي (١٤/٦٥).
(٣)- انظر: تفسير السعدي (صـ٦٤٨).

المطلب الثالث: الوصية الثالثة: رقابة الله تعالى

قال تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ **[لقمان:١٦]**

في هذا الجزء من الوصية يلفت لقمانُ نظر ابنه لأمر عظيم، يربي فيه حياة القلب، ورقابة الضمير، ألا وهو رقابة الله، يوصي لقمانُ ولده ويعلمه ويذكره بمراقبة الله عز وجل، وعرَّفه بربه الذي لا تخفى عليه خافية، ولو كانت حبة صغيرة في هذا الملكوت العظيم.

فينبهه بأن أي مظلمة أو خطيئة أو ذنب ولو كان مثقال حبة من خردل فإنه يحضرها يوم القيامة حين يضع الموازين القسط، ولو كانت تلك الذرة محصنة محجبة في داخل صخرة صماء، أو غائبة ذاهبة في أرجاء السموات أو الأرض فإن الله يأتي بها؛ لأنه لا تخفى عليه خافية.(١)

فالعبد لابد أن يعلم دائماً بأن الله لا يخفى عليه شيء من أموره، وأنه مطلع عليه في جميع أحواله، لأن مراقبة الله في السر والعلن هي أساس الأعمال القلبية، وعمودها الذي تقوم عليه، وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم المراقبة في قوله عن الإحسان: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»(٢)

والمراقبة هي: استدامة علم العبد باطلاع الرب عليه في جميع أحواله.(٣)

ومراقبة الله لها ثمرات، منها:

-الإيمان بالله وتعلق القلب به، واليقين بأنه مطلع على أعمال العباد.

-البعد عن المعصية: كما جاء في الصحيحين(٤) في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظلّه -ومنهم-: «وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ».

---

(١)- انظر: تفسير ابن كثير (٦/٣٣٨).

(٢)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة، (ح/٥٠)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة، (ح/٨).

(٣)- التعريفات للجرجاني (ص ٢١٠).

(٤)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الزكاة، باب: الصدقة باليمين، (ح/١٤٢٣)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب: الزكاة، باب: فضل إخفاء الصدقة، (ح/١٠٣١).

-من أدام مراقبة الله تعالى اتصف بالورع.

-صلاح السريرة، وذلك بأن العبد إذا علم وأيقن بأن الله مطَّلع عليه فإنه يترك الحرام، لأنه يعلم بأنَّ الله: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩].

-مغفرة الذنوب والأجر الكبير: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك:١٢].

فعلى كل مسلم أن يربي نفسه وأبناءه على هذا الأمر، أن يزرع في نفوس أبنائه مراقبة الله في السر والعلن، والحث على مراقبة الله، والعمل بطاعته، مهما أمكن، والترهيب من عمل القبيح، قَلَّ أو كَثُرَ[(١)]، لأنه السبيل إلى السعادة في الدنيا والآخرة.

قال الشاعر:

إِذَا مَــــا خَلَــــوْتَ بِرِيْبَــــةٍ فِي ظُلْمَـــــةٍ ... والـــــــنَّفْسُ دَاعِيَـــــةً إِلى العِصْـــــــيَانِ

فَاسْــتَحِ مِــنْ نَظَــرِ الإِلَــهِ وَقُــلْ لَهَــا ... يَا نَفْــسُ إِنَّ الــذي خَلَــقَ الظَــلامَ يَــرَانِي

وقال آخر:

إِذَا مَــا خَلَــوْتَ الــدَّهْرَ يَوْمًــا فَــلا تَقُــلْ ... خَلَــوْتُ وَلَكِــنْ قُــلْ عَلَــيَّ رَقِيْــبُ

وَلَا تَحْسَـــــبَنَّ اللهَ يَغْفَـــــلُ سَـــــاعَةً ... وَلا أَنَّ مَــــا يَخْفَــــى عَلَيْــــهِ يَغِيْــــبُ

---

(١)- تفسير السعدي (صـ ٦٤٨).

المطلب الرابع: الوصية الرابعة: الصلاة و الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر

قال تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ **[لقمان: ١٧]**

يوصي لقمانُ ابنه بإقامة الصلاة، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبالصبر على ما أصابه، ولو تأملنا هذه الثلاثة؛ لوجدنا فيها حقاً لله وهو الصلاة، وحقاً للناس بنفعهم ودلالتهم على الخير وإبعادهم عن الشر، وحقاً للنفس وهو الصبر. وهذه الأمور الثلاثة يجمعها أمرٌ آخرُ وهو المشقة، لذلك كان الصبر عليها من عزم الأمور.

أولاً: الصلاة:

قال تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾.

الصلاة لغةً: الدعاء[(١)]، قال الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ **[التوبة:١٠٣]**، أي: ادع لهم، وقال النبي ﷺ: «إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ فَلْيُجِبْ، فَإِنْ كَانَ صَائِمًا فَلْيُصَلِّ، وَإِنْ كَانَ مُفْطِرًا فَلْيَطْعَمْ»[(٢)]، أي: فليدع بالبركة والخير والمغفرة[(٣)].

والصلاة في الشرع: عبادة لله ذات أقوال وأفعال معلومة مخصوصة، مفتتحة بالتكبير، مختتمة بالتسليم، وسميت صلاة لاشتمالها على الدعاء[(٤)].

والصلاة واجبة بالكتاب، والسنة، وإجماع الأمة، على كل مسلم بالغ عاقل، إلا الحائض والنفساء.

أما الكتاب: قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ **[النساء:١٠٣]**، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ **[البينة:٥]**.

---

(١)- انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/٥٠)، لسان العرب لابن منظور (١٤/٤٦٤).

(٢)- رواه مسلم في صحيحه، كتاب: النكاح، باب: الأمر بإجابة الداعي إلى دعوة، (ح/١٤٣١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣)- انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/٥٠).

(٤)- انظر: المغني لابن قدامة (٣/٥)، التعريفات للجرجاني (ص ١٧٤).

وأما السنَّة: فعن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ، شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»[(١)].

وعن عبادة بن الصامت ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ، فَمَنْ جَاءَ بِهِنَّ لَمْ يُضَيِّعْ مِنْهُنَّ شَيْئًا اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهِنَّ، كَانَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِنَّ فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، وَإِنْ شَاءَ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ»[(٢)].

وأما الإجماع: فقد نقل الإجماع على وجوب خمس صلوات في اليوم والليلة: ابن حزم، وابن رشد، والنووي، وابن تيمية.[(٣)]

منزلة الصلاة في الإسلام:

ومنزلة الصلاة في الإسلام عظيمة، ويدل على أهميتها:

- الصلاة عماد الدين الذي لا يقوم إلا به، فعن معاذ بن جبل ﷺ أن النبي ﷺ قال: «رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ»[(٤)].

- أول ما يحاسب عليه العبد من عمله الصلاة: فعن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: «أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلَاةُ، فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ لَهُ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ»[(٥)].

- آخر وصية أوصى بها النبي ﷺ أمته قبل موته: فعن أم سلمة ﷺ قالت: كان من آخر وصية رسول الله ﷺ: «الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ» حَتَّى جَعَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ يُلَجْلِجُهَا فِي صَدْرِهِ، وَمَا يَفِيضُ بِهَا لِسَانُهُ.[(٦)]

- مدح الله القائمين بها ومن أمر بها أهله: فقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا * وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ [مريم: ٥٤-٥٥].

---

(١)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: قول النبي ﷺ: «بني الإسلام على خمس»، (ح/٨)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: قول النبي ﷺ: «بني الإسلام على خمس»، (ح/١٦).

(٢)- رواه أبو داود في سننه كتاب: الصلاة، باب: فيمن لم يوتر، (ح/١٤٢٠)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٦٦/١).

(٣)- انظر: المحلى لابن حزم (٤/٢)، وبداية المجتهد لابن رشد (٨٩/١)، والمجموع للنووي (٣/٣)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (١٠٦/٣٥).

(٤)- رواه الترمذي في سننه، أبواب الإيمان، باب: ما جاء في حرمة الصلاة، (ح/٢٦١٦)، وحسنه الألباني في إرواء الغليل (١٣٨/٢).

(٥)- أخرجه الطبراني في الأوسط (٢٤٠/٢) (ح/١٨٥٩)، وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣٤٦/٣): "وبالجملة فالحديث صحيح بمجموع طرقه والله أعلم".

(٦)- رواه أحمد في مسنده (٨٤/٤٤) (ح/٢٦٤٨٣)، وصححه الألباني في إرواء الغليل (٢٣٨/٧).

- ذم الله المضيعين لها والمتكاسلين عنها: قال الله تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [مريم:٥٩]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء:١٤٢].

حكم تارك الصلاة:

السؤال: هل تارك الصلاة يكفر كفراً يخرجه عن ملة الإسلام أم لا؟[١]

الجواب: "تارك الصلاة على حالين: إحداهما: أن يترك الصلاة مع الجحد للوجوب، فيرى أنها غير واجبة عليه وهو مكلف، فهذا يكون كافراً كفراً أكبر بإجماع أهل العلم، فمن جحد وجوبها كفر بإجماع المسلمين، وهكذا من جحد وجوب الزكاة، أو جحد وجوب صوم رمضان من المكلفين، أو جحد وجوب الحج مع الاستطاعة، أو جحد تحريم الزنا، وقال: إنه حلال، أو جحد تحريم الخمر، وقال: إنه حلال، أو جحد تحريم الربا، وقال: إنه حلال. كل هؤلاء يكفرون بإجماع المسلمين.

الحالة الثانية: من تركها تهاوناً وكسلاً وهو يعلم أنها واجبة، فهذا فيه خلاف بين أهل العلم، فمنهم من كفره كفراً أكبر، وقال: إنه يخرج من ملة الإسلام ويكون مرتداً، كمن جحد وجوبها فإنه لا يغسل ولا يصلى عليه إذا مات، ولا يدفن مع المسلمين ولا يرثه المسلمون من أقاربه؛ لقوله ﷺ في الحديث الصحيح: «بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ» رواه مسلم[٢]، وهذا صريح منه ﷺ بتكفيره. والكفر والشرك إذا أطلق بالتعريف هو الكفر والشرك الأكبر، وقال عليه الصلاة والسلام: «الْعَهْدَ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ» خرجه الإمام أحمد[٣]، وأهل السنن الأربعة[٤] بإسناد صحيح عن بريدة ﵁، مع أحاديث أخرى جاءت في الباب.

وقال آخرون من أهل العلم: إنه لا يكفر بذلك كفراً أكبر، بل هو كفر أصغر؛ لأنه موحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن مُحمَّداً رسول الله، ويؤمن بأنها فريضة عليه وجعلوها كالزكاة والصيام والحج لا يكفر من تركها إنما هو عاص، وقد أتى جريمة عظيمة، ولكنه لا يكفر بذلك الكفر الأكبر.

---

(١)- مجموع فتاوى ابن باز رحمه الله (٢٩/١٦٢).

(٢)- رواه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، (ح/٨٢).

(٣)- في مسنده (٣٨/٢٠) (ح/٢٢٩٣٧).

(٤)- رواه الترمذي في سننه، أبواب الإيمان، باب: ما جاء في ترك الصلاة، (ح/٢٦٢١)، ورواه النسائي في السنن الكبرى، كتاب: الصلاة، الصلاة، باب: الحكم في تارك الصلاة وذكر الاختلاف في ذلك، (ح/٣٢٦)، ورواه ابن ماجه في سننه، كتاب: إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: ما جاء فيمن ترك الصلاة، (ح/١٠٧٩).

والصواب القول الأول، لأن الصلاة لها شأن عظيم غير شأن الزكاة والصيام والحج، وهي أعظم من الزكاة والصيام والحج، وهي تلي الشهادتين وهي عمود الإسلام، كما قال عليه الصلاة والسلام: «رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ»(١). ومن ذلك ما ثبت في الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما في مسند أحمد(٢) -بإسناد جيد- عن النبي ﷺ أنه ذكر الصلاة يوماً بين أصحابه فقال: «مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا، كانَتْ لَهُ نُوراً وَبُرْهَاناً وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيامَةِ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا، لَمْ يَكُنْ لَهُ بُرْهَانٌ، وَلا نُورٌ، وَلا نَجَاةٌ، وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ، وَهَامَانَ، وَفِرْعَوْنَ، وَأُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ» قال بعض أهل العلم: إن حشره مع هؤلاء يدل على أنه كافر كفراً أكبر؛ لأن حشره مع رؤوس الكفرة يدل على أنه قد صار مثلهم".

من فضائل الصلاة:

- تنهى عن الفحشاء والمنكر: قال الله تعالى: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت:٤٥].

- أفضل الأعمال بعد الشهادتين: فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ العَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: «الصَّلاَةُ عَلَى وَقْتِهَا»، قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «ثُمَّ بِرُّ الوَالِدَيْنِ» قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».(٣)

- تغسل الخطايا: فعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ كَمَثَلِ نَهْرٍ جَارٍ، غَمْرٍ عَلَى بَابِ أَحَدِكُمْ، يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ»(٤).

- تكفّر السيئات: لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ»(٥).

- يرفع الله بها الدرجات ويحط الخطايا: عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال له: «عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ، فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً، إِلَّا رَفَعَكَ اللهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً»(٦).

---

(١)- رواه الترمذي في سننه، أبواب الإيمان، باب: ما جاء في حرمة الصلاة، (ح/٢٦١٦)، وحسنه الألباني في إرواء الغليل (١٣٨/٢).
٢- (١٤١/١١) (ح/٦٥٧٦).
(٣)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب: مواقيت الصلاة، باب: فضل الصلاة لوقتها، (ح/٥٢٧)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، (ح/٨٥).
(٤)- رواه مسلم في صحيحه، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا وترفع به الدرجات، (ح/٦٦٨).
(٥)- رواه مسلم في صحيحه، كتاب: الطهارة، باب: الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر، (ح/٢٣٣).
(٦)- رواه مسلم في صحيحه، كتاب: الصلاة، باب: فضل السجود والحث عليه، (ح/٤٨٨).

– من أعظم أسباب دخول الجنة برفقة النبي ﷺ: فعن ربيعة بن كعب الأسلمي ﷺ قال: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَقَالَ لِي: «سَلْ» فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ» قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ. قَالَ: «فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»(١).

– انتظارها رباط في سبيل الله: لحديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ»(٢).

ثانياً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

قال تعالى: ﴿ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ .

بعد أن أمر لقمانُ ابنه بالصلاة التي هي عمود الدين، أمره بالقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو سفينة النجاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شعيرة عظيمة، بها نالت الأمة الخيرية على باقي الأمم: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سمةٌ تدل على فاعلية هذه الأمة، وأنها دوماً تسعى للإصلاح والخير، وهو ليس مجرد أوامرَ تُلقى، بل منهج إصلاح وتغيير.

والمعروف: اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله، والتقرب إليه والإحسان إلى الناس، وكل ما ندب إليه الشرع ونهى عنه من المحسنات والمقبحات. والمنكر: ضد المعروف وكل ما قبحه الشرع وحرمه وكرهه فهو منكر.(٣)

فمعنى الأمر بالمعروف: الدعوة إليه، والترغيب فيه، وتمهيد أسبابه حتى تتوطد أركانه، وتتطرق سبله، ويعم الخير به. ومعنى النهي عن المنكر: الصد عنه، والتنفير منه، ومقاومته، وأخذ السبل عليه حتى لا يقع أصلاً، أو يتكرر.

---

(١)– رواه مسلم في صحيحه، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا وترفع به الدرجات ، (ح/٦٦٦).

(٢)– رواه مسلم في صحيحه، كتاب: الطهارة، باب: فضل إسباغ الوضوء على المكاره، (ح/٢٥١).

(٣)– انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٣/٢١٦). لسان العرب لابن منظور (٥/٢٣٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "الأَمْرُ بالمعْرُوفِ والنَهيَ عَنِ المنكَرِ هُوَ مِنْ أَوْجَبِ الأَعْمَالِ وَأَفْضَلِهَا وَأَحْسَنِهَا".[(١)]

ويقول أبو بكر بن العربي: "الأَمرُ بالمعْروفِ والنَّهيُ عَنِ المنْكَرِ أَصْلٌ في الدِّين، وعُمْدَةٌ مِنْ عُمَدِ المسلمين، وهُوَ فَرْضٌ عَلى جَميعِ النَّاسِ، مَثنى وفُرادَى بِشَرْطِ القُدْرةِ عَلَيْه".[(٢)]

ومما يؤكد مكانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الإسلام أن الله تعالى قد ذكر من أوصاف الصالحين أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، قال الله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ - يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران:١١٣-١١٤]

حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

اتفق علماء الأمة على القول بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيما أثر عنهم من الأقوال مستدلين على ذلك بالكتاب والسنة، ومن ذلك على سبيل المثال ما يلي:

قال ابن حزم: "اتّفقت الْأمة كلهَا على وجوب الْأَمر بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْي عَن الْمُنكر بِلَا خلاف من أحد مِنْهُم".[(٣)]

وقال النووي: "وَقَدْ تَطَابَقَ عَلَى وُجُوبِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَإِجْمَاعُ الْأُمَّةِ وَهُوَ أَيْضًا مِنَ النَّصِيحَةِ الَّتِي هِيَ الدِّينُ وَلَمْ يُخَالِفْ فِي ذَلِكَ إِلَّا بَعْضُ الرَّافِضَةِ وَلَا يُعْتَدُّ بِخِلَافِهِمْ كَمَا قَالَ الْإِمَامُ أَبُو الْمَعَالِي إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ لَا يُكْتَرَثُ بِخِلَافِهِمْ فِي هَذَا فَقَدْ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَنْبُغَ هَؤُلَاءِ وَوُجُوبُهُ بِالشَّرْعِ لَا بِالْعَقْلِ خِلَافًا لِلْمُعْتَزِلَةِ".[(٤)]

(١)- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن تيمية (صـ ١٨).
(٢)- عارضة الأحوذي (١٢/٢).
(٣)- الفصل في الملل والأهواء والنحل (١٣٢/٤).
(٤)- شرح صحيح مسلم (٢٢/٢).

وقال أبو بكر بن العربي: "في مطلق قوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ ﴾ دليل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض يقوم به المسلم، وإن لم يكن عدلاً، خلافاً للمبتدعة الذين يشترطون في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر العدالة".[1]

وقال أبو بكر بن الجصاص: "أَكَّدَ اللَّهُ تَعَالَى فَرْضَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنْ الْمُنْكَرِ فِي مَوَاضِعَ مِنْ كِتَابِهِ وَبَيَّنَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَخْبَارٍ مُتَوَاتِرَةٍ عَنْهُ فِيهِ وَأَجْمَعَ السَّلَفُ وَفُقَهَاءُ الْأَمْصَارِ عَلَى وُجُوبِهِ".[2]

وقال الشوكاني في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾: "وَفِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى وُجُوبِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَوُجُوبُهُ ثَابِتٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ وَاجِبَاتِ الشَّرِيعَةِ الْمُطَهَّرَةِ، وَأَصْلٌ عَظِيمٌ مِنْ أُصُولِهَا، وَرُكْنٌ مُشَيَّدٌ مِنْ أَرْكَانِهَا، وَبِهِ يَكْمُلُ نِظَامُهَا وَيَرْتَفِعُ سَنَامُهَا".[3]

ثم اختلف العلماء في هذا الوجوب؛ هل هو عيني أم كفائي؟

وقد رجح شيخ الإسلام ابن تيمة، والقرطبي، وابن العربي، كونه واجب على الكفاية[4].

وقد ينتقل من واجب كفائي إلى عيني، كما قال النووي: "ثم إنه قد يتعين كما إذا كان في موضع لا يعلم به إلا هو، أو لا يتمكن من إزالته إلا هو، كمن يرى زوجته أو أولاده أو غلامه على منكر، أو تقصير في المعروف"[5].

الصفات التي ينبغي أن تتوافر في الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر: [6]

-الإخلاص: فينبغي لمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أن ينوي في ذلك وجه الله تعالى، ويجعل نيته خالصة له سبحانه، وأن يقصد بعمله هذا أن تكون كلمة الله هي العليا وأن يكون الله عز وجل هو المطاع

---

(١)- أحكام القرآن (١/٢٩٢).
(٢)- أحكام القرآن (٢/٥٩٢).
(٣)- فتح القدير (١/٣٦٨).
(٤)- انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٨/١٢٥)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤/١٠٦)، أحكام القرآن لابن العربي (١/٢٩٢).
(٥)- شرح صحيح مسلم (٢/٢٣).
(٦)- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لشيخ الإسلام ابن تيمية (صـ ١٩)، بتصرف.

في الأرض، فإن الله تبارك وتعالى يقول فيما يخبر عنه الرسول ﷺ في الحديث القدسي: «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»(١).

-العلم: أن يكون عالماً بما يأمر به، عالماً بما ينهى عنه، وإلا فإنه قد يفسد بدل أن يصلح.

-الرفق: كما قال النبي ﷺ: «مَا كَانَ الرِّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا كَانَ الْفُحْشُ فِي شيء قط إلا شانه»(٢)، وقال: «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ»(٣).

-الحلم والصبر على الأذى: فإنه لا بد أن يحصل له أذى؛ فإن لم يحلم ويصبر كان ما يفسد أكثر مما يصلح، ولهذا أمر الله الرسل -وهم أئمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- بالصبر، قال: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور:٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل:١٠]، ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف:٣٥]، ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ [القلم:٤٨].

المفاسد المترتبة على ترك إنكار المنكر:(٤)

يترتب على ترك إنكار المنكر مفاسد عظيمة منها:

١- أن السكوت عن المنكر مع القدرة يُعَدُّ معصية، وإن لم يباشر الساكت فعل المنكر الذي سكت عليه، فإنه كما يجب اجتناب المعصية، يجب الإنكار على من فعل المعصية، فهما واجبان من ترك أحدهما فقد عصى ربه.

٢- أن السكوت عن المنكر يدل على التهاون بالمعاصي وقلة الاكتراث بها، والتهاون بأمر الله.

٣- أن في السكوت عن المنكر فقد الغيرة والغضب لمحارم الله أو ضعفها وضعف تعظيم الرب تعالى.

٤- أن السكوت عن المنكر يجرئ العصاة والفسقة على الإكثار من المعاصي، حيث لم يردعوا عنها حتى تكون لهم الشوكة والظهور، ويضعف أهل الخير عن مقاومة أهل الشرّ، فيزداد بذلك الشرّ وتعظم المصيبة الدينية والدنيوية.

---

(١)- رواه مسلم في صحيحه، كتاب: الزهد والرقائق، باب: من أشرك في عمله غير الله، (ح/٢٩٨٥).

(٢)- رواه ابن حبان في صحيحه، كتاب: البر والإحسان، باب: الرفق، ذكر الأمر بلزوم الرفق في الأشياء إذ دوامه عليه زينته في الدنيا والآخرة، (ح/٥٥١)، وصححه الألباني في التعليقات الحسان (٤٢/٢).

(٣)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب: استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب: إذا عرض الذمي وغيره بسب النبي ﷺ ولم يصرح، نحو قوله: السام عليك، (ح/٦٩٢٧).

(٤)- القول البين الأظهر في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للراجحي (ص ١٨٠).

٥- أن بترك إنكار المنكر يندرس العلم ويكثر الجهل، فإن المعصية إذا تكرر صدورها من كثير من الناس، ولم ينكرها أهل الدين والعلم والفضل، ظن الجاهل أنها ليست معصية، وربما ظن أنها عبادة مستحسنة، وأي مفسدة أعظم من اعتقاد ما حرم الله حلالًا، ورؤية الباطل حقًّا، وانقلاب الحقائق على الناس؟!

٦- أن السكوت عن المنكر مع إعلان العاصي لمعصيته وإظهارها، إذن ودعوة إلى تقليد العاصي، وتزيين للمعصية في صدور الناس، والناس يقتدي بعضهم ببعض، والإنسان مولع بالاقتداء بأقرانه وبني جنسه.

الحامل على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:[1]

الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر والداعية إلى الله تعالى لا بد له من باعث يبعثه، وحامل يحمله على القيام بأداء هذا الواجب العظيم، والأمور التي تحمل الآمر والناهي وتبعثه على الأمر والنهي والدعوة إلى الله تعالى كثيرة متعددة منها:

١- رجاء ثواب الله تعالى، والطمع فيما لديه سبحانه من المثوبة العظيمة، والأجر الجزيل على أداء هذه الوظيفة العظيمة.

٢- خوف عقاب الله تعالى والتعرض لسخطه وغضبه ونقمته في ترك واجب عظيم من واجبات الإسلام، به يقوم الدين ويستقيم.

٣- الاقتداء بالرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام، فإن الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وظيفة الرسل وأتباعهم، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف:١٠٨].

٤- النصيحة للمؤمنين والرحمة لهم، ورجاء إنقاذهم مما وقعوا فيه من التعرض لعقوبة الله في الدنيا والآخرة.

٥- الغيرة لله والغضب لمحارمه لئلا تنتهك، وحدوده لئلا تضاع، ودينه لئلا يترك، وأمره لئلا يضاع ويطّرح.

---

(١)- المرجع السابق (صـ ١٨٢).

ثالثاً: الصبر:

قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾.

لما كان القابض على دينه في غالب الأزمان كالقابض على الجمر، لأنه يخالف المعظم فيرمونه عن قوس واحدة لا سيما أن أمرهم ونهاهم[١]؛ قال: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾.

تعريف الصبر:

الصبر لغةً: الحبس، يقال: صَبَرْتُ نَفْسِي عَلَى ذَلِكَ الْأَمْرِ، أَيْ حَبَسْتُهَا[٢]. ويأتي بمعنى الثبات: كقوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ﴾ **[البقرة:٤٥]**، أي: بالثبات على ما أنتم عليه من الإيمان.

والصبر اصطلاحاً: حبس النفس عن الجزع، واللسان عن التشكي، والجوارح عن لطم الخدود وشق الثياب ونحوهما.[٣]

أو: هو خُلُقٌ فاضل من أخلاق النفس يمنع صاحبه من فعل ما لا يَحْسُنُ، ولا يجمل، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها، وقوام أمرها.[٤]

أنواع الصبر:

قسّم العلماءُ الصبرَ إلى ثلاثة أنواع:

١-**الصبر على طاعة الله:** الصبر على أداء العبادات التي فرضها الله سبحانه وتعالى على عباده والدوام عليها؛ لأن النفس بطبعها تميل إلى الشهوات، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ **[طه:١٣٢]**، فيجب على المسلم أن يعود نفسه على الصبر في ثلاثة مواضع:

الأول: صبر قبل الطاعة بإخلاص النية لله، والتبرؤ من شوائب الرياء.

---

(١)- انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٥/١٧٥).

(٢)- معجم مقاييس اللغة لابن فارس (صـ ٣٢٩).

(٣)- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم (صـ ١٥).

(٤)- عدة الصابرين لابن القيم (صـ ٢٩).

الثاني: الصبر حال القيام بالطاعة، فيحرص المسلم على أدائها على أكمل وجه مشروع متّبعاً ما بينه الرسول ﷺ.

الثالث: الصبر بعد أداء الطاعة، فلا ينظر لنفسه بعين العجب، وحب الثناء؛ لئلا يحبط عمله ويبطل أجره.

٢-**الصبر عن المعاصي والمحرمات**: الصبر عما نهى الله سبحانه وتعالى عنه من المعاصي والمحرمات، ومجاهدة النفس عن الاقتراب منها، قال سبحانه وتعالى في بيان عاقبة الصبر عن المعصية: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ **[النازعات:٤٠-٤١]**.

٣-**الصبر على المصائب والمحن**: وهو الصبر على ما يقدره الله سبحانه وتعالى على عباده من كوارث مفجعة، ومصائب مؤلمة؛ كفقد عزيز، أو زوال الصحة وغيرها من الابتلاءات، ولقد وصف الله عباده الصابرين بقوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ **[البقرة:١٥٥]**، ووعد الله عباده الصابرين بالأجر العظيم، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ، عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الجَنَّةَ» يُرِيدُ: عَيْنَيْهِ[(١)].

حكم الصبر:

الصبر واجب بالجملة بإجماع الفقهاء[(٢)]، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ **[آل عمران:٢٠٠]**، أما حكمه التفصيلي فيختلف باختلاف نوع المصبور عنه أو المصبور عليه، فلكل نوع حكم يخصه من الأحكام التكليفية الخمسة:

-الصبر الواجب: وهو الصبر على الطاعات، والصبر عن المحرّمات، والصبر على المصائب التي لا صنع للعبد فيها: كالأمراض التي تصيب الإنسان، والفقر، وفقد الولد وغيرها.

-الصبر المندوب: هو الصبر على فعل المستحبات، وعن فعل المكروهات، أو عما هو خلاف الأفضل، ومثال ذلك: أن مقابلة السيئة بمثلها جائزة في الإسلام، وأفضل منها العفو والصفح، فلو أن إنساناً أساء إليك فإنه يستحب لك أن تصبر عليه.

---

(١)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب: المرضى، باب: فضل من يصرع من الريح، (ح/٥٦٥٢).

(٢)- انظر: عدة الصابرين لابن القيم (صـ ٥٠).

–الصبر المحرم: كمن يصبر عن الطعام والشراب حتى يموت، أو يمسك عن لحم الخنزير أو عن الميتة في المخمصة والمجاعة حتى الموت، أو يصبر على ما يهلكه من سبع أو حية، أو حريق، وهو يستطيع مدافعة ذلك بالأسباب النافعة.

–الصبر المكروه: كمن يصبر عن الطعام والشراب حتى يتضرر بذلك بدنه.

–الصبر المباح: وهو الصبر عن كل فعلٍ مستوي الطرفين خُيِّر بين فعله وتركه.

فضائل الصبر في القرآن الكريم:

من فضائل الصبر التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز ما يأتي:

- مضاعفة أجر الصابرين، قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [القصص: ٥٤].
- أن الله سبحانه وتعالى علق النصر بالصبر والتقوى، قال تعالى: ﴿بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٥].
- أخبر الله سبحانه وتعالى أن ملائكته تسلم على الصابرين في الجنة بصبرهم، قال تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤].

فضائل الصبر في السنة النبوية:

وردت عن الرسول ﷺ العديد من الأحاديث في فضل الصبر وأهميته، ومن تلك الأحاديث ما يأتي:

- الصبر دليل على قوة الإيمان: فعن صهيب بن سنان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»(١).

---

(١)– رواه مسلم في صحيحه، كتاب: الزهد والرقائق، باب: المؤمن أمره كله خير، (ح/٢٩٩٩).

● الصبر باب لتكفير السيئات: فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا يُصِيبُ المسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ، وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حُزْنٍ وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»[1].

● الصبر يزيد المسلم قربًا من الله تعالى: فعن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: «الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ البَلَاءُ بِالعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ»[2].

---

(١)– رواه البخاري في صحيحه، كتاب: المرضى، باب: ما جاء في كفارة المرض، (ح/٥٦٤١).

(٢)– رواه الترمذي في سننه، أبواب الزهد، باب: ما جاء في الصبر على البلاء، (ح/٢٣٩٨)، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (٤٩٢/١).

المطلب الخامس: الوصية الخامسة: التواضع و ذم الكبر والاختيال والفخر

قال تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾

الكِبْرُ خُلُقٌ مذموم، يكفي أنه خلق إبليس، وأول ذنب عُصي اللهُ به، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ **[البقرة:٣٤]**، لهذا وجه لقمانُ ابنَه إلى التواضع مع الناس في موعظته له، فقال: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾.

﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾: قال ابن عباس ﷺ: "أي: لا تتكبر؛ فتحقر عباد الله، وتعرض عنهم بوجهك إذا كلموك"[١]، وقال مجاهد: "هُوَ الصُّدُودُ وَالْإِعْرَاضُ بِالْوَجْهِ عَنِ النَّاسِ"[٢]، وقال مقاتل: "لا تعرض بوجهك عن فقراء الناس إذا كلموك فخراً بالخيلاء والعظمة"[٣].

﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ﴾: أي: جَذْلًا مُتَكَبِّرًا جَبَّارًا عَنِيدًا، لَا تَفْعَلُ ذَلِكَ يُبْغِضُكَ اللَّهُ[٤]. قال القرطبي: "وَهُوَ النَّشَاطُ وَالْمَشْيُ فَرَحًا فِي غَيْرِ شُغْلٍ وَفِي غَيْرِ حَاجَةٍ، وَأَهْلُ هَذَا الْخُلُقِ مُلَازِمُونَ لِلْفَخْرِ وَالْخُيَلَاءِ، فَالْمَرِحُ مُخْتَالٌ فِي مِشْيَتِهِ"[٥].

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾: مُخْتَالٍ: مُعْجَبٍ فِي نَفْسِهِ، فَخُورٌ: أَيْ عَلَى غَيْرِهِ[٦]، وقال مقاتل: "يعني كل بطر مرح فخور في نعم الله تعالى لا يأخذها بالشكر".[٧]

---

(١)- تفسير الطبري (٢٠/١٤٤).
(٢)- تفسير مجاهد (صـ ٥٤٢).
(٣)- تفسير مقاتل بن سليمان (٣/٤٣٥).
(٤)- انظر: تفسير ابن كثير (٦/٣٣٩)، تفسير السعدي (صـ ٦٤٨).
(٥)- تفسير القرطبي (١٤/٧٠).
(٦)- انظر: تفسير ابن كثير (٦/٣٣٩).
(٧)- تفسير مقاتل بن سليمان (٣/٤٣٥).

﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾: أي: امْشِ مَشْيًا مُقْتَصِدًا لَيْسَ بِالْبَطِيءِ الْمُتَثَبِّطِ، وَلَا بِالسَّرِيعِ الْمُفْرِطِ، بَلْ عَدْلًا وَسَطًا بَيْنَ بَيْنَ[(١)]. وقال السعدي: "اِمْشِ مُتَوَاضِعاً مُسْتَكِيْناً، لا مَشْيَ البَطَرِ وَالتَّكَبُّرِ، وَلَا مَشيَ التَّمَاوت".[(٢)]

﴿وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾: يعني واخفض من صوتك فإنَّ أقبح الأصوات لصوت الحمير[(٣)]. قال ابن كثير رحمه الله: "أَيْ: لَا تُبَالِغْ فِي الْكَلَامِ، وَلَا تَرْفَعْ صَوْتَكَ فِيمَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الأصْوَاتِ لَصَوْتُ الحَمِيرِ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ وَغَيْرُ وَاحِدٍ: إِنَّ أَقْبَحَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ، أَيْ: غَايَةُ مَنْ رَفَعَ صَوْتَهُ أَنَّهُ يُشَبه بِالْحَمِيرِ فِي عُلُوِّهِ وَرَفْعِهِ، وَمَعَ هَذَا هُوَ بَغِيضٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى. وَهَذَا التَّشْبِيهُ فِي هَذَا بِالْحَمِيرِ يَقْتَضِي تَحْرِيمَهُ وَذَمَّهُ غَايَةَ الذَّمِّ".[(٤)]

تعريف التواضع:

التواضع لغةً: التذلل، وتَوَاضَعَ الرَّجُلُ: إذا تَذَلَّلَ.[(٥)]

والتواضع اصطلاحاً: رضا الإنسان بمنزلة دون ما يستحقُّه فضله ومنزلته. وهو وسطٌ بين الكِبْر والضِّعَة، فالضِّعَة: وضع الإنسان نفسه مكانًا يزري به بتضييع حقِّه. والكِبْر: رفع نفسه فوق قدره.[(٦)]

وقيل هو: إظهار التَّنزُّل عن المرتبة لمن يراد تعظيمه، وقيل: هو تعظيم مَن فوقه فضله.[(٧)]

الترغيب في التواضع:

قال الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ **[الفرقان:٦٣]**، قال ابن القيّم رحمه الله: "أي: سكينة ووقارًا، متواضعين غير أشرين ولا مَرِحين ولا متكبّرين".[(٨)]

---

(١)– انظر: تفسير ابن كثير (٣٣٩/٦).
(٢)– تفسير السعدي (صـ ٦٤٨).
(٣)– انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤٣٥/٣)، تفسير الطبري (١٤٦/٢٩)،
(٤)– تفسير ابن كثير تفسير ابن كثير (٣٣٩/٦).
(٥)– العين للفراهيدي (١٩٦/٢)، تاج العروس لمرتضى الزبيدي (٣٤٣/٢٢).
(٦)– الذَّريعة إلى مكارم الشَّريعة للرَّاغب الأصفهاني (صـ ٢٩٩).
(٧)– فتح الباري لابن حجر (٣٤١/١١).
(٨)– مدارج السَّالكين لابن القيم (١٠٨/٣).

وأمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن يلين جانبه للمؤمنين، وأن يتواضع لهم، فقال: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر:٨٨]، قال القرطبيُّ في تفسير هذه الآية: "أي: أَلِن جانبك لمن آمن بك، وتواضعْ لهم".(١)

ووصف الله سبحانه وتعالى أصحاب النَّبيّ ﷺ بأنَّهم يظهرون العطف والحُنُوَّ والتَّواضُع للمؤمنين، ويظهرون الشِّدَّة والغلظة والتَّرفُّع على الكافرين حيث قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة:٥٤]، قال ابن كثير رحمه الله: "هذه صفات المؤمنين الكُمَّل أن يكون أحدهم متواضعًا لأخيه ووليِّه، متعزِّزًا على خصمه وعدوِّه، كما قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:٢٩]".(٢)

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ، إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ».(٣)

وعن حارثة بن وهب ﷺ أنَّه سمع النَّبيَّ ﷺ يقول: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟» قَالُوا: بَلَى، قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ» ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟» قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «كُلُّ عُتُلٍّ(٤) جَوَّاظٍ(٥) مُسْتَكْبِرٍ»(٦).

قال القاضي عياض رحمه الله: "وقوله في أهل الجنَّة [كلُّ ضعيفٍ متضعِّف] هُوَ صِفَةُ نَفي الكِبْرياء والجَبَروتِ التي هِيَ صِفَةُ أهلِ النَّار، ومَدَح التَّواضُع والخمول، والتَّذلُّل لله عزَّ وجلَّ، وحضَّ عليه"(٧).

---

(١)- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/٥٦).
(٢)- تفسير ابن كثير (٣/١٣٦).
(٣)- رواه مسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: استحباب العفو والتواضع، (ح/٢٥٨٨).
(٤)- العتلّ: الجافي الشديد الخصومة بالباطل وقيل الجافي الفظ الغليظ، انظر: شرح مسلم للنووي (١٧/١٨٨).
(٥)- الجوَّاظ: الجموع المنوع، وقيل كثير اللحم المختال في مشيته، وقيل القصير البطين، وقيل الفاخر. انظر: شرح مسلم للنووي (١٧/١٨٨).
(٦)- رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الأدب، باب: الكبر، (ح/٦٠٧١)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، (ح/٢٨٥٣).
(٧)- إكمال الْمُعلِم شرح صحيح مسلم للقاضي عياض (٨/٣٨٣).

الخاتمة

وفي ختام حديثنا اليوم عن لقمان ووصاياه، نرى أن شخصية لقمان من الشخصيات المهمة في كتاب الله سبحانه وتعالى، والتي جعلها عبرة وعظة. إن لقمان وما أنزله الله عليه من حكمة هو أبلغ شيء وأعلى منزلة يجب أن يتعلم منها الناس، فإن حديث لقمان مع ابنه وحكمته في إسداء النصح يمثل منهجاً تربوياً عظيماً. ووصاياه نافعة، ونصائح غالية، وحكم نبيلة، وتوجيهات سديدة، يقدمها لقمان لابنه، ليكون ابناً باراً، يتعامل مع الناس بحسن الخلق وطيب المعاملة، يعرف للناس حقوقهم، ولا ينسى حق الله عليه.

فحري بالآباء والمربين أن يستفيدوا من تلك الوصايا في تربية أبنائهم، وتوجيه تلاميذهم، فهي بلا شك المنهاج الصحيح لأصول التربية الحسنة الناجحة، والطريقة المثلى لإعداد جيل صالح على أساس قوي من عقيدة التوحيد، يعرف حقوق ربه، وحقوق والديه، وحقوق مجتمعه.

لا سبيل لفلاحهم ونجاحهم في هذه الحياة إلا أن ينهلوا من سنن الإسلام ومنهاجه القويم في تربية أبنائهم، وفي إصلاح نفوسهم، وتثبيت عقيدتهم، وتعليمهم مبادئ الخير والفضيلة، وتنشئتهم على الأخلاق الحميدة.

أسأل الله عز وجل أن يوفقني وإياكم للعمل بما علمنا، وأن يعلمنا ما جهلنا، إنه خير مأمول، وأكرم مسؤول، والله من وراء القصد، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

وصلى الله وسلم على رسوله مُحَمَّد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.